

الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ودوره في

النظم الإدارية والقضائية

(٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م)

م. د. حكمة لفته صكر

المقدمة....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين أبي القاسم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

سعى الفاطميون إلى بسط سلطانهم على الدولة العربية الإسلامية بأسرها وإقامة(خلافة) يدخل في ظلها الشعوب الإسلامية كافة، ونجحوا في السنوات الأخيرة للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي من إقامة دولة قوية هي(الخلافة الفاطمية) التي هددت لأكثر من مئتي عام وضع العديد من الأسر الحاكمة في العالم الإسلامي/ كما أن خلفائهم عدّوا الخلفاء العباسيين مغتصبين لحقهم الشرعي في حكم هذا العالم، وحكمت الدولة الفاطمية بلاد المغرب من قبل أربعة من الخلفاء الفاطميين وهم عبد الله المهدي(٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م) والقائم بأمر الله(٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م) والمنصور بالله(٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) والمعز لدين الله(٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)، كما حكمت الدولة الفاطمية مصر من قبل عشرة من الخلفاء الفاطميين وهم:العزیز بالله(٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ/٩٦٦-١٠٢٠م) والظاهر لإعزاز دين الله(٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) والمستنصر بالله(٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) والمستعلي بالله(٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) والأمر بأحكام الله(٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣٠م) والحافظ لدين الله(٥٢٥-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) والظافر بأمر الله(٥٤٤-

٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م) والفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م) والعاقد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م).

وتضمن البحث (الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ودوره في النظم الإدارية والقضائية (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) وهو الخليفة التاسع في تسلسل الخلفاء الفاطميين واعتمدت في انجاز هذا البحث على عدد من المصادر التاريخية منها: كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد (ت:٢٣٠هـ/٨٤٤م) وكتاب (الوزراء والكتاب) للجهمي (ت:٣٣١هـ/٩٤٢م) وكتاب (الولاء والقضاة) للكندي (ت:٣٥٠هـ/٩١٦م) وكتاب (أخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم) لابن حماد (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وكتاب (أخبار مصر) لابن ميسر (ت:٦٧٧هـ/١٢٧٨م) وكتاب (تعاضد الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) للمقريزي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م) وغيرها من المصادر التي أغنت البحث وأخرجته بهذا الشكل.

الباحثة

سيرته....

هو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله^(١)، بن الظاهر لإعزاز دين الله، بن الحاكم بأمر الله^(٢)، بن العزيز لدين الله، بن المعز لدين الله^(٣)، بن أبو الظاهر إسماعيل، المنصور، بن أبو القائم بأمر الله^(٤)، بن عبد الله المهدي (٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٢-٩٢٨م) أول الخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب.

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادة الخليفة المستعلي بالله الفاطمي فقد ذهب ابن خلكان انه ولد في القاهرة في شهر محرم عام (٤٦٩هـ/١٠٧٥م)^(٥)، وفي السجلات المستنصرية^(٦) أنه ولد عام (٤٥٢هـ/١٠٥٨م) وهو الأرجح لأن المستنصر بالله أرسل في عام (٤٥٢هـ/١٠٥٨م) كتاب إلى الداعي علي الصليحي^(٧) باليمن يحمل إليه البشرى بمولد المستعلي بالله جاء فيه (كتاب أمير المؤمنين إليك وقد وهب الله له من فضله العميم وطوله النسيم ولد نكياً ونجلاً رضى سماه أحمد وكناه أبو القاسم.... وكان ميلاده يوم الرابع عشر من صفر سنة اثنين وخمسين وأربعمائة.... الخ)^(٨)، وهذا دليل واضح أن الخليفة المستنصر بالله سمى ولده أحمد وكناه أبا القاسم كي يطابق اسم الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وكانت كنيته ككنية الرسول الكريم حتى لا يحدث فتنة في أمره وهذا لم يفعله مع أولاده الباقيين^(٩).

وعن هيئة الخليفة المستعلي بالله الفاطمي وأوصافه فلم تتوفر لدينا المعلومات الكافية عن شكله سوى بعض الشذرات التي ذكرها كل من ناصر خسرو وابن حماد إذ وصفه ابن حماد (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) قائلاً: "كان يشبه أبوه الخليفة المستنصر بالله في شأنه وسيرته

وهو شاب كامل الجسم ظاهر الصورة يرجع نسبه إلى الأمام الحسن بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم)، كان حليق الرأس..."^(١٠)

أما خسرو (ت: ٤٨١هـ/١٠٨٨م) فقد وصفه بأنه كان شديد السمرة يشبه أمه فضلاً عن وصفه بأنه يشبه أبوه المستنصر بالله بالسياسة وكثرة العفو^(١١)، وهناك من

وصفه بأنه كان عادلاً حسن السيرة محبوباً من الرعية يخاطب الناس ويستمع إلى شكاوهم كريماً جواداً، جعل ما في قصره للعامة فكانت خزانة الشراب^(١٢) التي في القصر الشرقي لعامة الناس يأخذون منها ما يحتاجون من الأدوية وكان يهب حتى الزيوت النادرة لمن يطلبها^(١٣).

تزوج المستعلي بالله الفاطمي من أخت الوزير الأفضل^(١٤) ست الملك وقام المستنصر بالله الفاطمي بنعت ابنه أبا القاسم أحمد وقت عقد النكاح بولي عهد المؤمنين^(١٥).

ولم تشير المصادر والمراجع من قريب أو بعيد إلى أن المستعلي بالله أنه تزوج غير ست الملك أو تعدد زوجاته و أنجب المستعلي بالله ثلاث أولاد هم أبو علي المنصور الأمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٤٤هـ/١١٠١-١١٢٠م) وجعفر وعبد الصمد^(١٦).

دور الخليفة المستعلي بالله في النظم الإدارية.....

كان للخليفة المستعلي بالله الفاطمي دور مميز وكبير في إدارة الدولة والموجبات التي وضعها لصالحه في تدبير أمور الرعية وحياتهم وكذلك إسهاماته في النهضة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية والثقافية والعمرانية^(١٧).

فمن انجازاته بقاء الأرض مقطعة وتوزيعها على المتزايدين من الأجناد والأمراء وأن تبقى الأرض المقطعة لهم لمدة ثلاثين عاماً^(١٨).

كما اهتم الخليفة المستعلي بالله بمشاريع الري وحفر خليج للمراكب في مدينة القاهرة، واهتمامه بالزراعة والأرض^(١٩) أيضاً.

أما الدواوين في عصر خلافة المستعلي بالله فكانت استمراراً لدواوين الخلفاء الفاطميين فضلاً عما استحدثت من دواوين في عصر خلافة المستعلي بالله لكثرة الأعمال والمهام منها: (ديوان الرسائل) الذي هو ديوان إنشاء الكتابة ومراجعة الرسائل والمخاطبات التي تعمم من المستعلي بالله والمستمدة من أفكاره وتطلعاته الثقافية والأدبية وعمق خلفيته التاريخية والإسلامية^(٢٠)، ومتولي ديوان الرسائل يسمى (الكاتب)

أو كاتب الدست ولا تختصر مهمته في شيء ولكنه بتدوين كل ما تحتاجه الأمور وعقد العهود وتوليه المراسيم والعزل^(٢١).

والشخص الذي يتولاه يجب أن يتمتع بحسن الكتابة والبلاغة، ويخاطب بالشيخ الأصل ويعد هذا الديوان الذي تأسس في عهد المستعلي هو أصل الدواوين، وفيه تكون علوم الدولة الفاطمية جميعها، ويقال لمتوليه صاحب ديوان الرسائل أو المجلس^(٢٢).

ومن مهام هذا الديوان أقرار النصوص التي تهتم بعزل الولاية وتنصيبهم^(٢٣)، ولمتوليه مكان للجلوس فيه وله مرتبة ومسند، ويعمل معه حاجب، يخرج له ويقدم أدواته^(٢٤).

ويضم ديوان الرسائل سجل يعني بتسجيل الأسماء لمرتزقة الدولة، ومقدار عطائهم وتقدم شهرياً بانتظام وأرزاقهم من عينات القمح والشعير، وتعطى في بعض الأحيان نقداً^(٢٥).

ومن الدواوين التي أهتم بها الخليفة المستعلي بالله هو (ديوان الثغور) الذي اقتصت مهمته بجباية الرسوم الكمركية عبر الثغور المنتشرة عبر مناطق الدولة وحدودها وجباية المستحقات المالية والضرائب^(٢٦)، ومهمة الذين يقومون عليه عمل تذاكر خاصة المستحقات المالية للدولة بالتجارة مع البلدان الأخرى^(٢٧).

وقام الخليفة المستعلي بالله بتطوير الدواوين التي تلكأت وأخفقت قبل عهده

منها:

ديوان الجيش.....

وهو أول ديوان في الإسلام وضعه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عام (٢٠هـ/٦٤٠م)^(٢٨) ومهمته في الدولة الفاطمية معرفة أحوال الجند في الحياة والموت، والمرض والصحة والغياب والحضور وعضو الأجناد وخبولهم والنظر في الأمور^(٢٩).

ديوان الخاص.....

ومهمته الأشراف على نفقات الخليفة والقصر وله مهمة تحصيل الأقساط المستحقة من الضمناء والعاملين بالدولة ويشبهه في تعامله ما يقوم به ديوان النفقات بالعصر الأموي والعباسي^(٣٠).

ديوان الجهاد.....

الذي يختص بالنظر في أمور الأساطيل المدنية والحربية وإنشائها وتسييرها والأنفاق على رجالها وله إيرادات خاصة للأنفاق عليه^(٣١).

دور الخليفة المستعلي بالله في النظم القضائية.....

عند الحديث عن القضاء في عهد الخليفة المستعلي بالله الفاطمي ابتداءً بأن ينطلق من مفهوم أن القاضي يبعث في النفوس الهيبة والرهبة وكذلك هو الشخص الذي يتميز باحترام الجميع^(٣٢)، حيث كانت سلطة القضاء في عهد المستعلي بالله وأعماله لا تقتصر على القضاء في الديار المصرية فحسب بل تشمل جميع البلاد الخاضعة للدولة الفاطمية وعلى المدن التي يصير على فتحها من بلدان المشرق والمغرب، والقاضي يفوض بأمور دينية وشرعية مكملة لمهام عمله وعلاقتها بأعمال القضاء^(٣٣) بحكم الأعراف السائدة في تلك الفترة وتشمل كذلك الإصلاح بين الناس والمتخاصمين فيذكر المقرئزي: "أن الحالات التي كانت تقدم للقاضي في عهد المستعلي بالله أقل كثيراً على ما سبقتها في عهد أبوه المستنصر بالله بسبب كثرة المتخاصمين والمختلفين على حقوقهم في تلك الفترة"^(٣٤).

ومن أهم الأوامر أصدرها الخليفة المستعلي بالله والتي تتعلق بالقضاء هي: تعيين مساعدي وأعاون للقضاة، أطلق عليهم نواب الحكم وخلفاء النواحي، وتعيين مجموعة مقتدرة بأمور القضاء، سماهم شهود العدول، ويرأسهم شخص يدعى وجه الشهود أو مقدم الشهود^(٣٥).

أما الخطط المتصلة بالقضاء في عهد الخليفة المستعلي بالله والتي لها مهام وأمر تأتي بالمرتبة الأولى وهي: النظر في المظالم والحسبة والشرطة والتي سنتناولها في بحثنا كل على انفراد كما يأتي:

١- النظر في المظالم...

يعد النظر في المظالم من المناصب الرفيعة التي اعتمدها الدولة العربية الإسلامية للحد من التعدي الذي يحصل من أصحاب الجاه والسلطة على عامة الناس والضعفاء منهم^(٣٦)، وكذلك للحد من التعدي على المال العام وحالة الفساد بين عمال الخراج ودواوينهم وحكام الأقاليم التابعة للدولة الفاطمية^(٣٧)، وبما أن وظيفة النظر في المظالم هي من الوظائف الداخلة تحت سلطة الخليفة الفاطمي فقد عهد بها الخليفة المستعلي بالله إلى شخص عادل وعظيم الرهبة، وله سطوة في حماية الناس يصل إلى مرتبة القاضي ويعين لهذا المنصب ويسمى قاضي المظالم، يسجل ذلك في سجل يصدر عن المستعلي بالله^(٣٨)، وهذا الأمر تم استحداثه ليكون وزيره الأفضل^(٣٩) الذي أنابه فيه لأنه يمارسها ليلاً بالقصر الخلافي، ويقوم المستعلي بالاطلاع عليها من خلال قربه من إقامة المتظلم عند دخوله (باب الذهب)^(٤٠) وعليه القول بصوت عال: (لا اله إلا الله، وأن محمد رسول الله وأن علي ولي الله) لتصل مسامع الخليفة المستعلي بالله، لغرض النظر فيها وحلها، وتقرأ على مجلسه^(٤١) لانشغال الخليفة بأعمال ومهام الدولة، وكانت جلسات النظر في المظالم يسودها الهيبة والوقار، إذ يأتي المناادي وينادي بصوت مرتفع بـ(أرباب المظالم) فيقدم أصحابها بظلامتهم فتجمع وتقرأ واحدة بعد أخرى^(٤٢).

٢- الحسبة...

أن وظيفة الحسبة من الوظائف المهمة في الدولة في الدولة الفاطمية وأن مرتبتها تأتي بعد القضاء^(٤٣)، فالمحتسب في العصر الفاطمي له مهام عدة حيث يقوم بإدارة ومراقبة شؤون الناس ويحذر المتطاولين على الحق العام والخاص، وكذلك مراقبة المعلمين والمربين للصبيان ومنعهم من ممارسة الضرب مع الصبيان وإلزام عدم التزاحم بالطرقات وعدم تحميل المراكب أكثر من حمولتها والتي اعتاد رؤساء المراكب التصرف بها وكذلك الإيفاء بالوزن والمكيال ومراقبة الأسواق والمحافظة على الآداب والذوق العام والتطهي بالفضائل والحث على إعادة الأمانات ومنع احتكار المواد والأطعمة والحنطة والشعير وعدم استغلال الأزمات والتربص بالأزمات ومقاومة الاحتكار ليصل إلى ضرب المتلاعبين بقوت الناس من الطحانيين والخبازين بالسياط ويأمر بالاطافه بهم للتشهير بالأسواق والأماكن العامة، ويقوم بوضع تسعيرة لمعظم الحاجات الضرورية^(٤٤) ولكثرة مهام وواجبات المحتسب كان عليه أن يتخذ مجموعة من التدابير يقوم بها مجموعة من الأعوان الذين يحملون الصفات الحميدة ولهم باع في الخبرة والاطلاع بالتجارة والصناعة والأمور الأخرى ليجوبوا الطرقات والأزمة والأسواق بالتفتيش عن المتجاوزين والغشاشين من أرباب الحرف والصناعات والمعاش فكانوا يسمون بصفة (عريف)^(٤٥) و(نائب)^(٤٦).

وكان المحتسب ونوابه وأعوانه يطوفون في الأسواق والحارات أو يمكثون في الجوامع بطريقة المناوبة بين يوم وآخر في كل جامع^(٤٧) أو اخذ دكه وسط الأسواق معدة لهذا الغرض تدعى دكه الحسبة للنظر في قضايا الناس وحسب كل اختصاص^(٤٨).

كان للمحتسب سلطة تنفيذية تصل إلى مرتبة قاضي القضاة لكل العقوبات التي يستخدمها سماها ابن تيمية بالتعزيز^(٤٩)، حيث لا يتجاوز الردع أو الجلد بالسياط أو التشهير داخل الأسواق والطرق أو التوبيخ والزجر^(٥٠). وقد ذكر المقرئ أن راتب المحتسب في عهد الخليفة المستعلي بالله وصل إلى ثلاثين دينار شهرياً لأن وظيفة المحتسب لها مكانه في الدولة الفاطمية بشكل عام وللمستعلي بشكل خاص لأنها من ضمن واجباته في الفقه الديني فمن جانب هو الخليفة وهذه الوظيفة عهدته وتكليفه وكذلك فهو أمام الأمة الإسلامية في الدولة الفاطمية لذلك أهتم الخليفة الفاطمي المستعلي بالله بمهام وأمر الأشخاص الذين يخولهم أو ينتدبهم بالعمل لإدارة مهام المحتسب، عدا ما يمنحه المستعلي بالله من خلع له ولأعوانه ومساعديه^(٥١).

٣- الشرطة والجيش والأسطول البحري...

تعددت الآراء حول نشوء هذا النظام فهناك من يرجعه إلى عهد الخليفة الراشدي الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وهناك من يقول أن هذا النظام انشأ في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأنه أدخل نظام العسس في الليل، لكن كلها كانت بوادٍ لإنشاء نظام الشرطة الذي نظم في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأطلق على رئيسها صاحب الشرطة، إذ أنه يختار من عليه القوم وأهل العصبية^(٥٢). ومهمة الشرطي هي تنفيذ العقوبات التي يصدرها قاضي القضاة والمحتسب وتنفيذ الطويلة الأمد التي ينطق بها الخليفة الفاطمي أو الوزير^(٥٣). وكانت الشرطة في العصر الفاطمي تنقسم إلى قسمين وحسب ولايتي القاهرة ومصر، وهما الشرطة العليا في القاهرة والسفلى في مصر (الفسطاط)^(٥٤) والعسكر^(٥٥) ونظراً لكثرة أعمال صاحب الشرطة، اقتضت الضرورة لوجود

مجموعة من الأعوان لمساعدته ويتقاضى صاحب الشرطة شهرياً من (٣٠) إلى (٥٠) دينار ومساعديه من (٢٠) إلى (٥٠) دينار شهرياً بحسب الرتبة^(٥٦). ولا ينحصر عمل رجال الشرطة في حفظ الأمن نهاراً أو ليلاً فحسب بل كانوا يقومون بتنفيذ الأحكام التي ينطق بها القاضي فكان رجال الشرطة في عصر الخليفة المستعلي بالله أكثر حسماً لمخالفات الناس واستقدامهم للقضاء ومتابعة إملاء الشوارع والطرق بالاشخاص الذين يولون ولائهم للدولة وتنفيذ مقرراتها وكذلك تنفيذ أوامر قاضي القضاة، وقد أعنى الخليفة المستعلي بالله بتنظيم عمل الشرطة والمهام التي يقومون بتنفيذها ويربطهم من حيث الأداء بقاضي القضاة، ومن مهام الشرطة وصاحبها، إحضار القابلات إذ أدعت الضرورة إلى إحضارهن أو الغاسلات اللواتي يستدعن لمن تلد من النساء ولمن تموت، فيستأذن في ذلك برقعة ترفع إلى متولي الشرطة فيندب من يثق به ليصحبها إلى حيث مقصدها^(٥٧).

وأن العاصمة الفاطمية كانت لا تعرف لفظة (صاحب الشرطة) إلا في عهد الخليفة المستعلي بالله التي اختفت بعد ذلك لتحل محلها وظيفة (الوالي) بحيث دلت مسؤولية الشرطة هي المحافظة على الأمن^(٥٨).

وأهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بالمؤسسة العسكرية الضاربة سواء كان الشرطة أو الجيش أم الأسطول البحري، فقد أنفقت الدولة الفاطمية الأموال الطائلة على تسليحهم وأعدادهم وعلى بناء أسطول حربي قوي يصد الأعداء عن الدولة مثلما اهتمت في أعداد الشرطة^(٥٩).

حيث تألف الجيش الفاطمي في عهد أجداد الخليفة المستعلي بالله من طوائف عدة واستمرت هذه الطوائف بالعمل في جيش الخليفة المستعلي بالله فضلاً عن إضافة عناصر جديدة وهم (الأرمن) و(السريانيين) فقد ذكرهم ناصر خسرو أثناء زيارته مصر بأنهم مشاة ولهم قائد خاص بهم يتولى أمرهم وبلغ تعدادهم في

خلافة المستعلي بالله (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) بحدود عشرة آلاف نسمة^(٦٠).

أن جهود الخلفاء الفاطميين لم تقف عند اهتمامهم بالجيش بل وجهوا الجيش بل وجهوا اهتمامهم إلى إنشاء أسطول قوي بسبب التهديدات الخارجية على دولتهم ولدفع خطر الروم الذين حاولوا الاستيلاء على بيت المقدس عام (٣٦٥هـ/٩٧٥م)^(٦١).

وقد تنوعت معدات الأسطول الحربي في عهد المستعلي بالله الفاطمي حيث شملت الأسلحة المتنوعة والمنجنيقات والطرادات وأسلحة النقب كالأبراج والسلاسل والحبال، وكذلك الأسلحة الخفيفة كالدورق والترس والسيوف والخنجر^(٦٢). واتخذت تدابير أخرى يستخدمها رجال الأسطول البحري عند إقامة الحروب، فيقوم الرجال بشد السلاح على اليد أو بالرجل وتسمى القس مضاف إليه المواد التي تستخدم والتي تشمل النفط والنار الإغريقية، واعتاد رجال الأسطول على أن يحملوا معهم دهن البلسان يستخدم لدهن أجسامهم والذي يحميهم من لهب نيران الأعداء.

فضلاً عن امتلاكهم (قوص) صمام يستخدم كوسيلة للاتصال بين قيادة الأسطول والوحدات الأخرى أثناء السير في مياه البحر، ويوضع فانوس على مركب رئيس الأسطول لتهدتي به المراكب الأخرى ليلاً^(٦٣).

وحصر الفلقشندي في كتابه صبح الأعشى عدد رجال البحرية في زمن الخليفة المستعلي بالله الفاطمي بحدود خمسة آلاف مقاتل، يترأسهم رجل يمتلك صفات الشجاعة والجرأة واتخاذ القرارات يطلق عليها تسمية أمير الأسطول البحري أو أمير الماء أو البحر أو القائد ومنزلته تكون القائد العام للأسطول وعمد الخليفة المستعلي بالله على تعيين عشرة قادة تم اختيارهم من بين كبار أعيان الدولة وأمرائها، وأن يكون خبير وعالم بمهمة الملاحة والرياح ومسالك

البحار والمقاذف، ومقاتلوا الأسطول البحري يطلق عليهم(المجاهدون في سبيل الله) أو(الغزاة في أعداء الله) وأن تجنيدهم في العمل طوعياً، وليست إجبارية، ومقدار راتب كل مقاتل أو رجل يصل بين دينارين إلى عشرين ديناراً^(٦٤). ولم يبخل الخليفة المستعلي بالله الفاطمي بشيء عن تجهيز وإدامة رجال وأسطول البحرية فكان أسطول البحرية الفاطمي مميز في التسليح والتجهيز والاحتياجات العسكرية والتموينية والعدة والعدد^(٦٥).

ملخص.....

تناولت في بحثي هذا الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ودوره في النظم الإدارية والقضائية ٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م وهو الخليفة التاسع في تسلسل الخلفاء الفاطميين، وكان عادلاً، حسن السيرة، محبوباً من الرعية، كريماً، جواداً، وكان له دور مميز وكبير في إدارة الدولة سواء في النظم الإدارية كالاهتمام بمشاريع الري والزراعة والدواوين أو النظم القضائية كالنظر في المظالم والحسبة والشرطة واعتمدت في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر التي أغنت البحث وأخرجته بهذا الشكل منها كتاب(الطبقات الكبرى) لابن سعيد وكتاب(الوزراء والكتاب) للجيشياري وكتاب(الولاة والقضاة) للكندي وكتاب(أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) لابن حماد وكتاب(أخبار مصر)لابن ميسر وكتاب(اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) للمقريري وغيرها.

الخاتمة.....

- بعد انجاز بحثنا الموسوم (الخليفة الفاطمي المستعلي بالله ودوره في النظم الإدارية والقضائية ٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) توصلنا إلى النتائج الآتية:
- ١- كان الخليفة المستعلي بالله عادلاً، حسن السيرة، محبوباً من الرعية، يخاطب الناس ويستمع إلى شكاوهم كريماً جواداً.
 - ٢- كان للخليفة المستعلي بالله دور مميز وكبير في إدارة الدولة والموجبات التي وضعها لصالحه في تدبير أمور الرعية وحياتهم.
 - ٣- اهتم الخليفة المستعلي بالله بمشاريع الري وحفر خليج للمراكب في مدينة القاهرة، واهتمامه بالزراعة والأرض أيضاً.
 - ٤- استحدث الخليفة المستعلي بالله دواوين جديدة لكثرة الأعمال والمهام منها: (ديوان الرسائل) وكذلك قام بتطوير دواوين أخرى مثل (ديوان الثغور) و(ديوان الجيش) و(ديوان الخاص) و(ديوان الجهاد).
 - ٥- كانت سلطة القضاء في عهد الخليفة المستعلي بالله وأعماله لا تقتصر على القضاء في الديار المصرية فحسب بل تشمل جميع البلاد الخاضعة للدولة الفاطمية.
 - ٦- قام الخليفة المستعلي بالله بإصدار أوامر تتعلق بالقضاء منها تعيين مساعدي وأعوان للقضاة أطلق عليهم نواب الحكم وخلفاء النواحي.
 - ٧- اهتم الخليفة المستعلي بالله اهتماماً كبيراً بالخطط المتصلة بالقضاء منها النظر في المظالم والحسبة والشرطة والجيش والأسطول البحري.

الهوامش.....

- ١- المقرئزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر، ط ١١، (بيروت: دار الكتب العالمية، ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٣٥٥.

٢- المقرئزي،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية،تحقيق:

خليل المنصور،ط١،(بيروت:دار الكتب العالمية،١٩٩٨م)،ج٢،ص١٦٧.

٣- المقرئزي،اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء،ج٥،ص٣٥٥؛حسن،حسن إبراهيم وطه أحمد،المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور (٣٤١-٣٦٥هـ)،ط٢،(القاهرة: مطبعة النهضة المصرية،١٩٦٣م)،ص١٣.

٤- ابن حماد الصنهاجي،أبو عبد الله محمد،(ت:٦٢٦هـ/٢٢٨م)،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق:جلول أحمد البدوي،(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ت)،ص٢٩.

٥- أبان خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر،(ت:٦٨١هـ/٢٨٢م)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ط٢،(بيروت: دار أحياء التراث العربي،٢٠٠٩)،ج٢،ص٩٨.

٦- السجلات المستنصرية:هي عبارة عن سجلات وتوقيعات وكتب أرسلها الخليفة المستنصر بالله الفاطمي إلى دعاة اليمن وغيرهم في البلدان.(السجلات المستنصرية)،تقديم:عبد المنعم ماجد،(القاهرة:مكتبة الانجلو المصرية،١٩٥٣م)ج١،ص١٩.

٧- هو أبو الحسن بن محمد الصليحي(ت:٤٥٩هـ/١٠٦٧م) احد الدعاة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في اليمن وينتسب إلى قبيلة الأصلوح،كان شاباً أشقر اللحية أزرق العينين وكان متواضعاً وشاعراً فصيحاً ومن أذكى الملوك وأكثرهم دهاء جعل كرسي دولته صنعاء وحكم خمس عشر سنة.المقرئزي،الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك،تحقيق:جمال الدين الشيال،(القاهرة:د.مط،١٩٨٤م)،ص٦٥-٦٦.

- ٨- السجلات المستنصرية، ص ٣٧-٤٦ .
- ٩- السجلات المستنصرية، ص ٤٦-٤٧ .
- ١٠- ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص ٧٠ .
- ١١- ناصر خسرو أبو العين القيادناطي الموزني، (ت: ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ص ٩٦ .
- ١٢- وهي إحدى خزائن القصر الخلافي (القصر الشرقي) في الدولة الفاطمية في مصر وهي القاعة التي هي الان (المارستان العتيق) فإذا قعد الخليفة على السرير عرض عليه حامياها ما فيها وهو من كبار الأستاذين وشاهدها فيحضر إليه فراشوها بين يدي مستخدمها، عيون الأصناف العالمية. المقرزي، الخطط المقرزية، ج^٢، ص ٣٩٥ .
- ١٣- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، الحلة السيرة، تحقيق: إبراهيم الايباري، (د.م: دار الكتب الإسلامي، ١٩٨٣)، ج^٢، ص ١٩١-١٩٢ .
- ١٤- هو أبو القاسم شاهنشاه بن بدر لجمالي، تولى مكان أبيه لما ضعف عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، وكان حسن التدبير، وهو الذي أقام الأمر بأحكام الله ابن المستعلي بالخلافة، ودبر دولته وحجر عليه، قتل عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج^٢، ص ٤٤٨ .
- ١٥- الشيال، جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية، ط ١، (القاهرة: دار النهضة، د.ت)، ص ٥٢ .
- ١٦- المصدر نفسه، ص ٥١ .
- ١٧- المقرزي، الخطط المقرزية، ج^١، ص ٨٣ .
- ١٨- المقرزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج^٢، ص ٤٠ .

- ١٩- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، (ت: ٨٢١هـ/٤١٨م)،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (القاهرة: المكتبة السلطانية، ٩١٦م)، ج^٣،
ص ٣٣٦ .
- ٢٠- المصدر نفسه، ج^١، ص ٣٥٧ .
- ٢١- المصدر نفسه، ج^١، ص ٣٥٧ .
- ٢٢- المصدر نفسه، ج^٣، ص ٤٩٩ .
- ٢٣- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج^٣، ص ٣٢٢ .
- ٢٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج^٣، ص ٦٠٠ .
- ٢٥- المصدر نفسه، ج^٣، ص ٣٣١ .
- ٢٦- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج^٢، ص ٤٩١ .
- ٢٧- المصدر نفسه، ج^٢، ص ٤٩٧ .
- ٢٨- أبى سعد، محمد بن سعد، (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات
الكبرى، (بيروت: د. مط، ٩٥٧م)؛ ج^٣، ص ٢٨٢؛ اليعقوبى، أحمد بن يعقوب بن
واضح، (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبى، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج^٢،
ص ١٥٣ .
- ٢٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج^٣، ص ٥٦٥ .
- ٣٠- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبوس، (ت: ٣٣١هـ/٩٤٢م)، الوزراء
والكتاب، (القاهرة: د. مط، ٩٢٦م)، ص ٤٩ .
- ٣١- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج^٣، ص ٣٤٢ .
- ٣٢- أبى ميسر، تاج الدين محمد بن علي، (ت: ٦٧٧هـ/٢٧٨م)، أخبار مصر،
تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: المعهد العلمى الفرنسى، ٩٨١م)، ج^٢، ص ٤٧ .

- ٣٣- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، (ت: ٣٥٠هـ/٩١٦م)، كتاب الولاية وكتاب القضاة، تصحيح: رفت عست، (بيروت: مطبعة الإباء اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ص ٥٩٩ .
- ٣٤- المصدر نفسه، ص ٥٨٩-٥٩٠ .
- ٣٥- المصدر نفسه، ص ٥٩٣ .
- ٣٦- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري، (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (مصر: المطبعة المحمودية، د.ت)، ص ٧٧-٧٨ .
- ٣٧- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج'، ص ٣٧٥ .
- ٣٨- الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، ص ٥٨٥ .
- ٣٩- القلقشندي، صبح الأعشى، ج'، ص ٣١٧ .
- ٤٠- وهو باب من أبواب القصر الخلافي تدخل منه العسكر وأهل الدولة يومي الاثنين والخميس إلى قاعة الذهب. المقرئ، الخطط المقرئية، ج'، ص ٢٨٨ .
- ٤١- ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني، (ت: ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٢م)، ص ٣٩ .
- ٤٢- مشرفة، عطية مصطفى، نظم الحكم في عصر الفاطميين، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ص ٣١٢ .
- ٤٣- ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، (القاهرة: د.مط، د.ت)، ج'، ص ١٧٢ .
- ٤٤- الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، (ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشرة: السيد الباز العريني، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف، ١٩٤٦م)، ص ٣٦ .

- ٤٥- المصدر نفسه، ص ٣٦ .
- ٤٦- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج^١، ص ٤٦٢ .
- ٤٧- القلقشندي، صبح الأعشى، ج^٢، ص ٥٥٩ .
- ٤٨- الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٠٨ .
- ٤٩- أبن تميمة، أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم، (ت: ٧٢٨هـ/٣٢٧م)، الحسبة في الإسلام، (القاهرة: د. مط، ١٣١٨هـ)، ص ٣٨ .
- ٥٠- ماجد، نظم الفاطميين، ج^١، ص ١٧٢ .
- ٥١- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج^١، ص ٤٦٧ .
- ٥٢- أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج^٣، ص ٢٨٢ .
- ٥٣- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج^٢، ص ٧ .
- ٥٤- هي مدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص، سميت بذلك لأن عمرو بن العاص حين دخل مصر ضرب فسطاطه بذلك الموضع. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، قدم له: محمد عبد الرحمن، (د.م: دار أحياء التراث، ٢٠٠٨م)، ج^٤، ص ٢٦١-٢٦٦ .
- ٥٥- عسكر مصر وهي خطة سميت بذلك لأن عسكر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي وأبا عون عبد الملك بن يزيد مولى هناءه نزل هناك عام ١٣٣هـ/٧٤٩م فسمي المكان بالعسكر إلى الآن. الحموي، معجم البلدان، ج^٣، ص ١٢٣ .
- ٥٦- أبن حماد، أخبار الملوك بني عبيد وسيرتهم، ص ٦٤ .
- ٥٧- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج^٢، ص ٣٤٢ .
- ٥٨- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج^٢، ص ٩٠ .
- ٥٩- المقرئزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد البعلوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩١٩م)، ج^١، ص ٤٠ .

- ٦٠- ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٩٤ .
٦١- المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج ٣، ص ٣٣٧ .
٦٢- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، ج ٢، ص ٥٣ .
٦٣- الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٩٧ .
٦٤- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦٩ .
٦٥- المقرئزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ٢، ص ٣٠٢ .

Abstract

In this research I dealt with the Fatimid Caliph AL-MUSTA'LI BILLAH and his role in the administrative and judiciary systems (487-495 A.H)(1094-1101 A.D) who is the ninth caliph in the sequence of the Fatimid caliphs; he was fair, of good morality, loved by the people and generous; he had a significant and great role in administrating the state whether in the administrative systems like paying attention to the projects of drainage, agriculture, registers and the judiciary systems as taking into account the grievances and police affairs; In this research I depended on a group of resources which supported the research and made it in this form like: the book of (*AL-TABAKAT AL-KUBRA*) "THE GREATESR LAYERS" of IBN SAAD, (*ALWIZARAA WA ALKITAB*) "MINISTERS AND THE BOOK" of AL-JAHSHYARI, (*ALWOLAT WA ALQUTHAT*) "GOVERNORS AND JUDGES" of AL-KINDY, (*AKHBAR MULOOK BANI OBED WA SEERATAHUM*) "THE NEWS OF BANI OBED AND THEIR BIOGRAPHY" of INB HAMMAD, (*AKHBAR MASR*) "THE NEWS OF EGYPT" of IBN MAYSER as well as the book of (*ITIAATH AL-HANAFI*) "AL-HANFA LEARNING" of AL-MAQREEZY and other resources.